٣

الأبعاد الاجتماعية والإنسانية والدعوية في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

عائشة حسين حمود موسى الطائي

متوسطة الفرات للبنات

وزارة التربية

المديرية العامة لتربية الأنبار

شعبة البحوث والدراسات التربوية

المقدمة

الحمد لله ذي المنةِ والإحسان والجود والإنعام ، والصلاة والسلام على ولدِ سيدِ عدنان ، الذي اصطفى له ربه من النساء القانتات العابدات السائحات والأبكار والثيبات ، ورضي الله عن أُمّنا خديجة صاحبة العطيات ، وعن عائشة التي نزلت ببراءتها الآيات ، وحفصة صاحبة الحديث والرِّوايات ، وأم سلمة جبل الصبر والثبات ، وبنت خزيمة باذلة الصدقات ، وكذا زينب صاحبة عقد الزواج في السماوات ، وجويرية أعظم النساء بركات ، وصفية التي حوت في نسلها الأنبياء ، وأم حبيبة التي توالت عليها الإبتلاءات ، وكذا الرضا عن ميمونة خالة ابن الوليد صاحب البطولات، وسلم عليهم جميعاً عدد الذاكرين والذاكرات ، أما بعد :

فبعد التوكل على الله عز وجل قررت كتابة هذا البحث ؛ لنيل شرف الاطلاع على جزء من حياة النبي ﷺ ، والحكمة من جمع النبي ﷺ لتسع زوجات في وقت واحد .

وقد استخرت الله عز وجل ثم اهتديت إلى أن يكون البحث الموسوم بعنوان : (الأبعاد الاجتماعية والإنسانية والدعوية في تعدد زوجات النبي ﷺ) , وكان سبب اختياري لهذا الموضوع ؛ للرد على كل من حاول النَيْل منه أو الطعن من شخصه الكريم ﷺ.

ومن الصعوبات التي واجهتني ، تعلق الموضوع بشخص سيد البشر النبي محمد ﷺ ، وسيرته العطرة فلا بُدَّ من توخي الحيطة والحذر في نقل المعلومة وانتقائها ، ومعرفة صحيحها من سقيمها.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأبعاد الإجتماعية في تعدد زوجات النبي ﷺ . ويتضمن هذا المطلب : أسماء زوجات النبي ﷺ والغايات الإجتماعية التي تحققت من هذا الزواج ، مرتبة بحسب سنة الزواج, فبدأت بالأقدم ثم الأحدث.

المطلب الثاني : الأبعاد الإنسانية في تعدد زوجات النبي ﷺ . ويتضمن هذا المبحث أسماء زوجات النبي ﷺ والغايات الإنسانية التي تحققت من هذا الزواج ، مرتبة بحسب سنة الزواج ، فبدأت بالأقدم ثم الأحدث .

المطلب الثالث : الأبعاد الدعوية في تعدد زوجات النبي ﷺ . ويتضمن هذا المبحث أسماء زوجات النبي ﷺ ، مرتبة بحسب سنة الزواج ، فبدأت بالأقدم ثم الأحدث .

وأدعو الله عز وجل إني قد وُفقت بإعطاء هذا البحث حقه

التمهيد

اتفق أهل العلم في عدد زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهنّ احدى عشرة امرأة هنّ : خديجة بنت خويلد ، ولم يتزوج غيرها مدة حياتها حتى توفاها الله عز وجل ، وسودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة ، وأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية ، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، وجويرية بنت الحرث ، وميمونة بنت الحارث ، وصفية بنت حيي بن أخطل ، وزينب بنت جحش –رضي الله عنهن جميعا– ، وأكثر من اجتمع عنده من هؤلاء تسع نسوة سوى خديجة –رضي الله عنها– التي لم يتزوج عليها في حياتها ، وزينب بنت خزيمة –رضي الله عنها– التي توفيت في حياته في السنة الرابعة للهجرة , وليس عنده حينئذٍ سوى سودة وعائشة وحفصة –رضي الله عنهن جميعاً– .

لمّا جاء أمر الله عز وجل بتحريم الجمع بين أكثر من أربع زوجات بدليل قوله تعالى : ((فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))[1]. أمر النبي ﷺ رجال أمته ، من كان عنده أكثر من أربع زوجات ، فليمسك أربعا ويفارق سائرهن[2] ، وقد استثني النبي ﷺ من هذا الحكم ، وارتقى للرفيق الأعلى وعنده تسع نساء، وهنا طالت الْسِنة أعداء الإسلام وصاروا يصِفون النبي ﷺ بما لا يليق بمقامه ، ويتهمونه الإتهامات الباطلة ، وتناسوا أنّ هذا ممّا اختصّ الله تعالى نبيه ﷺ ، فيجوز له أنْ يجمع أكثر من أربعة في عصمته ، واشتراكه ﷺ مع غيره من الأنبياء بهذه الخصوصية ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة، تلد كلُّ امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان). [3]

إنّ زوجات النبي أمهات للمؤمنين بدليل قوله تعالى : ((النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ))[4] فلو سار الحكم على النبي ﷺ معناه سيبقى أربع, ويسرح ويفارق الباقين فهؤلاء

الخمس إذا سرحهنّ النبي ﷺ ما موقفهن من المجتمع وهن زوجات النبي ﷺ ، وأمهات للمؤمنين ويحرم على أحد أن يتزوج بهنّ . إن تعدد زوجات النبي ﷺ كان له الفضل في حفظ الدين وسنة النبي ﷺ على ما سيتم ذكره في محله.

فهذا جهد المقلِّ، فإن أصبتُ فبتوفيق من الله عز وجل أحمده وأشكره على ذلك، فإنه لا توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبت، وإن جانبني الصواب فحسبي أنني بذلت قصارى جهدي، وأنه عمل إنسان، وعمل الإنسان معرض للنقص والخطأ، وللفضلاء تصحيحه، ولا شك في إن الكمال لله عز وجل والعصمة للأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

الباحثة :

المطلب الأول :

الأبعاد الاجتماعية في تعدد زوجات النبي ﷺ:

لقد ربط رسول الله ﷺ بعض أعضاء الأمة الإسلامية به عن طريق الزواج والمصاهرة , فقد تزوج عائشة بنت أبي بكر –رضي الله عنهما– كما تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– فكان هذا الزواج تتويجاً للوشائج الوثيقة التي ربطت بينه ﷺ وبين أهم وأعظم صحابيين له, وهما أبو بكر و عمر(رضي الله عنهما) اللذان أسْدَيا خدمات جليلة للإسلام والمسلمين, وقد تقلّد كلٌّ منهما أمور المسلمين بعد وفاة المصطفى ﷺ, وهكذا صار أبو بكر وعمر –رضي الله عنهما– من أعظم الرجال وأتقاهم وأقربهم إلى قلب النبي ﷺ.

أولا : **أم المؤمنين :عائشة بنت أبي بكر الصديق** –رضي الله عنها–:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة التيمية القرشية، ثالث زوجات النبي ﷺ، وهي الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ بكراً. عن عائشة –رضي الله عنها– قالت : قال لي رسول ﷺ: (رأيتك في المنام يجيء بكِ الملك في سرقة من حرير، فقال لي: هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي، فقلت: إنْ يكن هذا من عند الله يمضه)[5] . إنها ابنة الخليفة الأول للنبي ﷺ أبو بكر بن أبي قحافة، وصاحب النبي ﷺ قبل البعثة وفي رحلة هجرته من مكة إلى المدينة. كان أبو بكر –رضي الله عنه– من رؤساء قريش وأشرافها في الجاهلية ، ولعل المقصد من زواج النبي ﷺ بعائشة –رضي الله عنها– كان تكريماً لوالدها ومواقفه من دعوة النبي ﷺ ونصرته له, وكأن هذا الزواج مبني على مصاهرة أقوام تكون له عصبة ، فهو الصاحب والوزير والمجاهد في سبيل الله ، ومن أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ.

ثانيا: **أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب** –رضي الله عنهما–:

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية القرشية –رضي الله عنها– ، رابع زوجات النبي ﷺ، أبوها عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أحد كبار الصحابة، و الخليفة الثاني بعد أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما–، وأحد أشهر القادة في التأريخ الإسلامي، تزوجت حفصة –رضي الله

عنها– من خُنَيْس بن حذافة بن عدي السهمي –رضي الله عنه– وكان ممن شهد بدر, ومات بالمدينة في السنة الثالثة من الهجرة [6]، فلما انقضت عِدّتها ، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– : أتيتُ عثمان بن عفان، فعرضتُ عليه حفصة، فقال: سأنظر في أمري، فلبثتُ ليال ثم لقيني، فقال: قد بدا لي أنْ لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيتُ أبا بكر الصديق، فقلت: إنْ شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثتُ ليال ثم (خطبها رسول الله ﷺ ، فأنكحتها إياه)، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدتَ علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي، إلاّ أني كنت علمت أن رسول ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها [7] . وبيان ذلك إنّ المصاهرة مدعاة لتآلف القلوب وتوثيق الصلات، ممّا جعل القلوب تلتف حوله ﷺ ، في إيمانٍ وإكبارٍ وإجلالٍ.

وفي أحداث التاريخ كم توقفت حروب بين القبائل والشعوب بسبب زواج أحد الطرفين من الآخر، وكم أُزيل حقد من القلوب بسبب الترابط والتزاوج، فكما تزوج النبي ﷺ من بنات أصحابه ، تزوج أيضا من بنات أعدائه، ممّا جعل له مكانة عند أهالي تلك النساء، إذْ من العادة أنّ الرجل إذا تزوج من قبيلة أو بطن صار بينه وبين تلك القبيلة أو البطن قرابة بالمصاهرة، وذلك الأمر يدعوهم لنصرته وحمايته، ولا يخفى ما في ذلك من مصلحة الدعوة، وكان هذا الدافع ما يرغب به النبي ﷺ من الزواج بكريمات بعض زعماء القبائل.

ثالثا: **أم المؤمنون جُوَيرِية بنت االمصطلق** –رضي الله عنها–

أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن المصطلق ، ثامن زوجات النبي ﷺ ، سُبيت يوم المريسيع (غزوة بني المصطلق)[8]، وكانت متزوجة بابن عمها الذي قُتل في هذه الغزوة[9]، أتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبتُ على نفسي، فأعنّي على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: (أو خير من ذلك أُؤدي عنك كتابك وأتزوجك؟)، فقالت: نعم، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ ، فكان هذا الزواج سبباً في تحرير بني قومها من الرِق والأسر, فدخل بسبب زواجها البركة والفرحة إلى أكثر من مائة بيت من بني قومها[10]، لأن الصحابة رضوان الله عليهم عندما سمعوا زواج النبي ﷺ

من جويرية وكانت ابنة سيد قومها، قالوا: كيف نسترقهم؟ , فأعتقوهم جميعاً، وتخلى بنو المصطلق عن أعمال قطع الطريق وغاراتهم التي كانوا يشنونها ضد المسلمين, وانتهت المؤامرات التي كان بنو المصطلق يحيكونها ضد المسلمين ، وصاروا بعد ذلك من أشد جند الله, حيث أبدلوا المحبة والنصرة بالعداوة والبغضاء، فما أعلم امرأة كانت بركة على قومها من أم المنين جويرية بنت المصطلق –رضي الله عنها–.

رابعا: **أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب** –رضي الله عنها–:

أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، كان أبوها سيد بني النضير ، وهي عاشر زوجات النبي ﷺ ، تزوجها قبل النبي ﷺ سلام بن مشكم، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقُتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية –رضي الله عنها– مع السبي، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه ، وخيّرها بين الإسلام وبين البقاء على دينها, فاختارت الإسلام فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها ، ولمّا تزوجها – رضي الله عنها– كف بنو النضير عن قتال النبي ﷺ وقالوا: هذا صهرنا[11]. فانتهى موقف العداء الذي وقفه اليهود ضد الإسلام, ووضع حداً لمؤآمراتهم ضد النبي ﷺ بعد هذا الزواج. إنّ هدف النبي ﷺ من زواجه بصفية –رضي الله عنها– تكريمها ورفع مكانتها, فهي ابنة سيد قومها، وتعويضها خيراً بعد فقدانها لأهلها ، ويضاف إلى ذلك إيجاد رابطة المصاهرة بينه وبين اليهود لعله يخفف عداءهم، ويمهد لقبولهم دعوة الإسلام التي جاء بها من جهة، وليدرك الناس أن دعوته للناس جميعاً وإرادة الخير لجميع الفئات والملل من جهة ثانية.

خامسا: **أم المؤمنين(أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان**–رضي الله عنها–:

أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان الأموية القرشية الكنانية ، من بنات عم النبي ﷺ ، ليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها ، تزوجها وهي نائية الدار في بلاد الحبشة ، حيث كان أبو سفيان من سادة قريش قبل الإسلام ، وزعيم أشرافهم الذين عارضوا دعوة النبي ﷺ ، وهو قائد جيوش الأحزاب في غزوة أُحد و غزوة الخندق. تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بعد وفاة زوجها عبيدالله بن جحش الذي هاجر إلى الحبشة وتنصّر ومات على النصرانية في الحبشة, ولها منه ابنتها حبيبة ، فلمّا انقضت عدّتها أرسل النبي ﷺ إلى النجاشي يخطبها فأجابت.[12] ولعل النبي ﷺ أراد أن يطيب خاطرها ؛ فأهلها كانوا كفّاراً كلهم , فخاف عليها أن يؤذوها ويفتنوها في دينها إنْ رجعت

إليهم . وبعد هذه المصاهرة كفّ أبو سفيان عن قتال النبي ﷺ ؛ لأنّ من العيب مقاتلة الصهر. إن زواج النبي ﷺ من (أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان –رضي الله عنها– روعي فيه جانب إنساني لتعويضها عن الزوج الذي فقدته عند هجرتها إلى الحبشة، كما أنه تكريم لها على صبرها وجهادها في غربتها .

سادسا: **أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث** –رضي الله عنها–:

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث –رضي الله عنها– أرملة عمه حمزة بن عبدالمطلب –رضي الله عنه– شهيد أُحُد في السنة السابعة من الهجرة، وكانت ميمونة –رضي الله عنها– آخر امرأة تزوجها النبي ﷺ ، فقد جعلت أمرها إلى أختها أمِّ الفضل, فجعلت أمُّ الفضل أمرها إلى زوجها العباس –رضي الله عنهما– ، فزوجّها العباس للنبي ﷺ[13] . وكان زواجه ﷺ بالسيدة ميمونة –رضي الله عنها– أخت زوج سيد بعض قبائل سعت فساداً في الأرض واغتالت سبعين من كبار الصحابة[14] بالمكر والخديعة له أثر بالغ في تلطيف مخاصمة هذه القبائل للمسلمين، وتحقيق مصلحة عليا بعد مصاهرة بني هلال وكسب تأييدهم ، وتأليف قلوبهم، وتشجيعهم على الدخول في الإسلام، وأصبحوا يدخلون في الإسلام تباعاً، ويعتنقونه طواعية واختياراً.

وهذه المصاهرة تتداخل وتتقاطع في بعض الحالات مع التي قبلها، فقد أتاح له ﷺ زواجه بأكثر من أربع زوجات أن جمع عنده عدداً لا بأس به من بنات القادة، ممّا أتاح له الفرصة لتوثيق صلته ببطون قريش العديدة.

المطلب الثاني :

الأبعاد الإنسانية من تعدد زوجات النبي ﷺ

هنالك ابعادٌ إنسانية وراء زيجات النبي ﷺ ، فقد تزوج ﷺ بعض النساء رأفة بهنّ بسبب ظروفهن الخاصة، إذْ أنّ هناك بعض النساء العجائز اللاتي مات عنهنّ أزواجهن فلم يبق لهن سندٌ أو معين في الحياة, وهناك الأمهات اللاتي افتقدن الكفيل لهن ولأطفالهن، وهناك بعض الأرامل اللاتي لو رجعن إلى أهلهن لعُذبن عذاباً شديداً ولفُتّن فتوناً كبيراً، فتزوجهن النبي ﷺ صيانةً لهن ورعاية لأطفالهن. بل هناك نوع من التكريم حتى بعد استشهاد الرجال في معارك الإسلام لإنتشال أسر الشهداء من الضياع والعوز.

ولأن القائم بالدعوة إلى الله تعالى ينبغي أن يوجد الثقة بينه وبين أتباعه، ويرعى شؤونهم فيكون كالأب الحنون ومثل رب الأسرة في رعاية الضعفاء والمحتاجين، فإنّه برعايته يورث المحبة في قلوب الأتباع، فالرجل يشعر بأنّ أسرته لن تضيع من خلفه إنْ هو قضى نحبه، وتدرك المرأة أنها لن تتعرض للفتنة إنْ هي لبّت دعوة الله وفارقت الأهل والأقرباء المشركين .

أولا: **أم المؤمنين سودة بنت زمعة** –رضي الله عنها–:

أم المؤمنين سودة بنت زمعة العامرية القرشية ، ثاني زوجات النبي، تزوجت بدايةً ابن عمها السكران بن عمرو، الذي أسلم في بداية ظهور الإسلام, وأسلمت سودة معه وهاجرا معاً إلى الحبشة, ثم مات السكران في بلاد الحبشة .

بعد وفاة خديجة –رضي الله عنها– عُرض على النبي ﷺ الزواج مجدداً, فقد تركت له عيالاً يحتاجون إلى الرعاية، فوقع اختياره على سوْدة بنت زَمْعة –رضي الله عنها– وكان قد توفي عنها زوجها و خاف عليها ﷺ من أهلها وأقربائها من المشركين المعاندين المعادين لله ولرسوله، ولم تجرؤ سودة على العودة من أرض الحبشة إلى أقربائها خوف الفتنة على دينها، وخشية أن تبقى بدون معيل, فتقدم رسول الله ﷺ للزواج بها تكريماً لها وحماية لدينها من الفتنة، وكانت تكبره حينها بخمس سنوات, إذْ كانت في الخامسة والخمسين من عمرها، ولها خمسة من الأولاد، وتُعد سودة مُربية أبناء النبي ﷺ فقد أحسنت تدبير البيت والعناية بالأبناء، تمتاز بأنها امرأة كريمة المعشر تُضفي السعادة والبهجة على قلب النبي ﷺ ، فبقي معها النبي ﷺ ثلاث سنوات متفرغًا لأمور الدعوة والترتيب للهجرة استعدادًا لبداية جديدة في مسيرة رسالته ، وهكذا كان واقع حال رسول الله ﷺ مع المؤمنين به وبرسالته .[15]

ثانيا: **أم المؤمنين زينب بنت خزيمة أم المساكين** –رضي الله عنها–:

أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية ، خامس زوجات النبي ﷺ ، تزوجها في رمضان من السنة الثالثة للهجرة ، بعد زواجه بحفصة –رضي الله عنها– وقبل زواجه بميمونة بنت الحارث. لُقبت بأم المساكين في الجاهلية والإسلام ؛ لرحمتها بالفقراء والإيتام الذين كانت تطعمهم وتتصدق عليهم . تزوجت –رضي الله عنها– بالطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف –رضي الله عنه– ثم طلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحارث –رضي الله عنه– فاستشهد يوم بدر وتركها بلا راع ولا أحد يقوم على أمرها، وظلت وحيدة تعمل على تعليم الناس والإهتمام بالفقراء والمساكين ، حتى أكرمها الله وتزوجها النبي ﷺ مواساةً لها فيما أصابها من فقدها ازواجها، ومكافأةً لها لتقواها وصلاحها ، وعاشت عند النبي ﷺ ثمانية أشهر ، ثم ماتت في الثلاثين من عمرها ، صلى عليها النبي ﷺ صلاة الجنازة ، ودفنها بالبقيع فكانت أول من دُفن فيه من أمهات المؤمنين .[16]

ثالثا: **أم المؤمنين أم سلمة** –رضي الله عنها–:

أم المؤمنين هند بنت أبي أمية المخزومية –رضي الله عنها– كنيتها أم سلمة, إحدى زوجات النبي ﷺ ومن أوائل المسلمين الذين دخلوا في الإسلام ، كانت زوجة لأبي سلمة بن عبد الأسد –رضي الله عنه– هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، وعادا وهاجرا إلى المدينة، شهد زوجها بدراً وأُحداً، مات بعد غزوة أُحد في السنة ألرابعة من الهجرة, متأثراً بجرح كان قد أصابه بِأُحد، فمات منه[17]. لم يكن لأم سلمة –رضي الله عنها– في المدينة بعد موت زوجها أحداً من ذويها غير أطفالها الأربعة , الذين كانوا صبية صغاراً كزَغَبِ القطا يحتاجون لمن يعولهم, ولم يكن لام سلمة أقارب يساندوها ، فحزن المسلمون لمصابها أشد الحزن ، ولمّا انقضت عدتها كلّمها النبي ﷺ لنفسه، فقالت: أي رسول الله وما تريد إليّ، ما أقول هذا إلاّ رغبة لك عن نفسي، إني امرأةً قد أدبر مني سنّي وإنّي أم أيتام وأنا امرأة شديدة الغيرة, وأنت يا رسول الله تجمع النساء, فقال رسول الله ﷺ: فلا يمنعك ذلك، أمّا ما ذكرتِ من غيرتك فيذهبها الله، وأمّا ما ذكرتِ من سنّك فأنا أكبر منك سناً، وأمّا ما ذكرتِ من أيتامك فعلى الله وعلى رسوله. فضمّهم رسول الله ﷺ إلى عياله، وكان عمرها قرابة ستين سنة حينئذ .[18]

يتبيّن ممّا تقدم أن تعدّد زوجات النبي ﷺ لو كان مقصده أن يحصل من هذه الزيجات ما يحصله الزوج من المرأة ما كان تزوج السيدة خديجة وهي بعمر خمس وأربعون سنة ، والسيدة سؤدة وهي بعمر الخمس وخمسون سنة ، والسيدة زينب بنت خزيمة وهي بعمر خمس وستون سنة ، والسيدة أم سلمة وهي بعمر الستين سنة –رضوان الله عليهن جميع–

المطلب الثالث:

الأبعاد الدعوية في تعدد زوجات النبي ﷺ

تدين البشرية بعد بعثة النبي محمد ﷺ بالفضل العظيم لامرأتين ساهمتا في حفظ الرسالة النبوية على الوجه الذي تمّت به؛ إذْ كان لإحداهما فضل رعاية النبي ﷺ وتهيئة الأسباب المعينة له على تبليغ رسالته، وكان للأخرى شرف حفظ هذه الرسالة ونقلها إلى أجيال الأمة المتعاقبة.

وبين هاتين الشخصيتين العظيمتين دارت رحى الإسلام وسارت ركابه في شتى مناكب الأرض؛ فقد كانت خديجة بنت خُوَيْلد –رضي الله عنها– السند الذي يأوي إليه النبي ﷺ فظلت تثبّته وتنصره، أمّا عائشة –رضي الله عنها– فكانت العين الراصدة ليوميات صاحب الدعوة ﷺ والتلميذة النجيبة الأولى في مدرسة النبوة.

– **أم المؤمنين خديجة بنت خويلد** –رضي الله عنها– :

أم المؤمنين، خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية ، أولى زوجات النبي ﷺ، وأم أولاده[19]، كانت قد رأت –رضي الله عنها– رؤيا عظيمة في شبابها أثّرت فيها أيّما تأثير, وملأت نفسها الطاهرة بالتفاؤل والخير، فقد رأت –رضي الله عنها– في منامها أن الشمس تهبط من السماء وتدخل دارها وتسطع على كل شيء فيه, فغمرت كل البيت بنور عظيم ، فذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ليعبّر لها الرؤيا ، فقال لها : إنه نور من الله ورسالته إلى الأرض وأحسبه أنه نور خاتم النبيين، كان ابن عمها ورقة ابن نوفل يحدثها عن بعث نبي آخر الأمة ويصف لها شكله على ما ورد ذكره في كتب اليهود والنصارى ، وكانت تقول خديجة –رضي الله عنها– كنت أشعر هذا النبي مِنّا،

وفي يوم اجتمعت نساء قريش في عيد لهن فجاءهنّ رجل يهودي فقال: يوشك أن يبعث فيكنّ نبي فأيتكنّ استطاعت أن تكون له أرضاً يطؤها فلتفعل، فشتمنه وطردنه، ووقر ذلك في صدر خديجة –رضي الله عنها–[20]، وكانت استأجرت النبي ﷺ في تجارتها إلى الشام وبعثت معه غلامها ميسرة ، فبينما هي تنظر قدومهما, نظرت رجلا يطلع من عقبة المدينة وليس في السماء غيم الاّ قدر ما يظله، واذا هو النبي ﷺ، فقالت: إنّ قولَ اليهودي حقٌ والمبعوث محمد، ثم سمعت عن النبي ﷺ ما أسرّها من غلامها ميسرة، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ تعرض عليه الزواج ، لجمال أدبه ﷺ , فقبل بعرضها وكان لقبوله مغزى؛ وهو أنّ النبي ﷺ فقد أمه قبل ذلك, وهذه تكبره بخمسة عشر عاماً ، والنبي ﷺ يحتاج شيئاً فيه وصف وحنان الأمومة .

عاشت –رضي الله عنها– مع النبي ﷺ قبل البعثة وكانت تستشعر نبوة زوجها ﷺ ، فكانت تعتني ببيتها وأولادها وتسير قوافلها التجارية ، وتوفر للنبي مؤونته في خلواته عندما كان يعتكف ويتعبّد في غار حراء.

كان يَظْهر عليها –رضي الله عنها– رجاحة الرأي وحسن التدبير وصواب المشورة، وكان النبي ﷺ يأنس بمشورتها و برأيها، ومن تتبع بعض الحوادث التي أبدت رأياً، وجد في ذلك فقهاً وفكراً تميزت به فترة البعثة النبوية ومنها: عندما أنزل الله الوحي على النبي ﷺ رجع يرجف فؤاده، فدخل على خديجة –رضي الله عنها– حتى ذهب عنه الروع، وأخبرها الخبر ، فقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصلُ الرحم، وتحملُ الكلَّ، وتكسبُ المعدوم وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق[21]، فكان عندها استنباط وقياس من الفطرة السليمة الناضجة؛ كي نفهم أن سنّها كان مقصوداً في زواج النبي ﷺ منها وهي بعمر الأربعين ، والنبي ﷺ في الخامسة والعشرين من العمر, على عكس طبيعة الشباب, إنما هذا إعداد إلهي . كانت –رضي الله عنها– أول من صدَّقهُ فيما حدَّثهُ ، وهَدَّأت من رَوْعِهِ، ومن مظاهر فقهها –رضي الله عنها– ، أنها ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل, وهي تعرف ما لديه من العلم والدين، فبشّره بأنه نبي هذه الأمة ، فكانت هذه الكلمات تأكيداً لشعورها بأن محمد رسول الله ﷺ , فكانت أول من آمن به من الرجال والنساء وأول من توضأ وصلى, وظلت صابرةً محتسبةً مع النبي ﷺ في تكذيب قريش وبطشها بالمسلمين، فكانت –رضي الله عنها– سكناً للنبي تحنو وتعطف عليه وتهون عليه المسائل ، بفطرتها وعقلها ، فلمّا ماتت –رضي الله عنها– فقد النبي ﷺ السكن والإطمئنان , وحزن على موتها حزناً شديداً.[22]

لعل من الحِكم التي لأجلها أباح الله تعالى للنبي ﷺ الزواج بأكثر من أربع ؛ قيام هؤلاء الزوجات بالتبليغ عن النبي ﷺ ، بدليل قوله تعالى: ((وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ))[23]، واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القران وحديث النبي ﷺ، والأمر هنا يفيد الوجوب[24]، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله ﷺ في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتي أكرمهن الله؟ , فكن أمهات للمؤمنين وزوجات للنبي ﷺ؛ لذا كان لهنّ –رضي الله عنهن– أثر في نشر السنة ، ولولاهن لضاعت أحاديث وأحكام ما كنا لنطلع عليها من غيرهن لا سيما الأفعال التي تقع بين النبي ﷺ وأزواجه مما لا يمكن لأحد الاطلاع عليها والوقوف على أحكامها.

أولا: **أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر** –رضي الله عنها– :

أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– المرجع الأول للحديث والسنة ، والفقيهة الأولى في الإسلام ، وأعلم النساء بدين الإسلام, بدا عليها الذكاء والفطنة منذ صغرها ، وكانت المؤمنات يسألن النبي ﷺ عن كل ما يعرض لهنّ على اختلاف درجاتهن في الحياء, فكان لا بد من تعليمهن, ومن ذلك ما روي عن عائشة –رضي الله عنها– أنّ امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض، فأمرها كيف تغتسل، قال ﷺ: (خذي فرصة ممسكة فتطهري بها، قالت : كيف أتطهر بها؟ قال: تطهري بها، قالت: كيف أتطهر بها؟ قال : سبحان الله ، تطهري بها، قالت عائشة : فاجتذبتها إلي ، فقلت : وتتبعي بها أثر الدم)[25] . ثم قالت عائشة –رضي الله عنها– : (نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين وأن يتفقهن فيه) .[26] وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى في السنة العاشرة من الهجرة[27] ، صارت –رضي الله عنها– مرجعاً في أحكام الشرع للمسلمين, وظلت تُدَرِّس وتبلّغ تعاليم الإسلام وتفتي في الكثير من المسائل الهامة مدة ثمانية وأربعين عاماً بعد وفاة النبي ﷺ حتى وافاها الأجل في سنة ثمان وخمسين من الهجرة[28]، كانت –رضي الله عنها– من أعلم النساء بدين الإسلام، وكانت تصحّح لكبار الصحابة , ومنه ما روي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه قال : من أدركه الفجر وهو جُنُب فلا يصوم، وكان يفتي بذلك ، فذهب بعض الصحابة يسأل عائشة وأم سلمة –رضي الله عنهما– ، فقالت : (كان رسول الله ﷺ يصبح جنبا مني فيصوم ويأمرني بالصيام)، وعندما علم أبو هريرة–رضي الله عنه– بذلك قال: هما أعلم ورد ما كان يفتي به[29]. كانت –رضي الله عنها

الخاتمة :-

زواج النبي ﷺ باللاتي تزوج بهن شرعة شرعها الله ﷻ ونص عليها في سورة الأحزاب ، وزواج النبي ﷺ سيرٌ مستقيم على النهج الذي شرعه الله ﷻ يسمو إلى أعلى درجات الاستقامة .

إن الحكمة من تعدد زوجات النبي ﷺ :

تسهيل دخول وزرائه عليه بسبب المصاهرة لتحقيق مصالح المسلمين مثل أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- .

تأليف القبائل العربية ، فقد تزوج النبي ﷺ من عدة قبائل وكسب ودهم بعد أن كانوا ألد أعداء الإسلام ، مثل زواجه من صفية بنت حيي ، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ،وزينب بنت الحارث الهلالية –رضي الله عنهن جميعا-.

حفظ السنة ونقل الدين من بيت النبوة إلى باقي بيوت المسلمين ، فقد كانت حجرات زوجات النبي ﷺ مدارس يدرس بها الدين .

فإذا نظرنا إلى زيجات النبي ﷺ من هذه الناحية نرى أنها أمر لابد منه وهكذا سنة الأنبياء جميعاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين....

المصادر

القرآن الكريم .

١ _ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .

٢ _ الإصابة في تمييز الصحابة ، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ

٣ _ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

٤ _ جامع البيان في تأويل القرآن ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٥ _ جوامع السيرة النبوية ، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٦ _ زاد المعاد في هدي خير العباد ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، الطبعة: السابعة والعشرون , ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٧ _ السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

٨ _ السيرة النبوية ، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م .

٩ _ السنن الكبرى ، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ، أشرف

عليه: شعيب الأرناؤوط ، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٠ _ سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) ، الناشر: دار الحديث- القاهرة ، الطبعة: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

١١ _ شرح سنن أبي داود ، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، http://www.islamweb.net

١٢ _ صحيح البخاري ، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١٣ _ طبقات الكبرى ، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) ، تحقيق: محمد بن صامل السلمي ، الناشر: مكتبة الصديق – الطائف ، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٤ _ المسند المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند ، عام النشر: ١٤٠٠ هـ .

١٥ _ مسند أبي داود الطيالسي ، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ) ، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، الناشر: دار هجر – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

١٦ _ المغازي ، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) ، تحقيق: مارسدن جونس ، الناشر: دار الأعلمي – بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩.

---

(1) سورة النساء : من الآية (٣).

(2) أن غيلان بن سلمة الثقفي، أسلم وعنده عشر نسوة فقال له النبي ﷺ : (أمسك أربعا وفارق سائرهن)، مسند الشافعي (ت:٢٠٤هـ) ، ٢٧٤.

(3) صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، رقم الحديث (٥٢٤٢)، ٣٩/٧.

(4) سورة الأحزاب : من الآية (٦).

(5) صحيح البخاري ، للإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ، رقم الحديث:(٥١٢٥) ،١٤/٧.

[6] سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، ٣٨٥/١. والإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني، ٨٥/٨.

[7] صحيح البخاري، للإمام البخاري، رقم الحديث(٥١٢٢)، ١٣/٧.

[8] جرت أحداث هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة ، وسببها أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه وبعض من حالفه من العرب يريدون حرب النبي ﷺ . ينظر : المغازي ، للواقدي (ت: ٢٠٧هـ) ،٤٠٧/١.

[9] أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير(ت:٦٣٠هـ) ،٥٧/٧.

[10] سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث ث الأزدي(ت: ٢٧٥هـ) ،٢٢/٤.

[11] الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني، ٢١٠/٨.

[12] سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي ، ٢٦٧/٣. والاصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ١٥٩/١.

[13] السيرة النبوية ، لأبو الفداء إسماعيل بن كثير(ت:٧٧٤هـ) ٤٣٢/٣.

[14] ينظر : السيرة النبوية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، ٣٥٣/٢. وزاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية(ت:٧٥١هـ)، ٢٢١/٣.

[15] سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، ٥٠٧/٣. والإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) ، ١٩٥/٨.

[16] سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي ،٤٤٣/١ ، و الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، ١٥٧/٨.

[17] السيرة النبوية لابن هشام , لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت:٢١٣هـ) ، ٤٦٨/١.

[18] الطبقات الكبرى ، لابن سعد الهاشمي (ت:٢٣٠هـ) ،٧٢/٨.

[19] الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)،١٠٠/٨.

[20] الأوائل : لأبي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ)، ١١٢, و الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) ، ١٠٠/٨.

[21] صحيح البخاري ، للإمام البخاري (ت:٢٥٦هـ) ، رقم الحديث : ٣ ، ٧/١.

[22] سيرة ابن هشام ، لعبد الملك بن هشام الحميري (ت:٢١٣هـ)، ٢٤٠/١، و سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، ٢٦٦/١.

[23] سورة الأحزاب : آية ٣٤

[24] جامع البيان ، للطبري (ت : ٣١٠هجري) ،٢٠/ ٢٦٨.

[25] صحيح البخاري (١/ ٧٠)

[26] شرح سنن أبي داوود ، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي ، ٨/٢٠.

[27] جوامع السيرة ط العلمية (ص: ٢١١) ، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي (٨٤٥هـ)

[28] الطبقات الكبرى ط العلمية (٨/ ٦٤).

[29] السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٢٨٢)